ويبلغ باجس ابو عطوان ... باب بيته ، يبلغ باب المغارة ... وهو لا يسقط فوق عتبتها ... ولكنه يتسلل الى الداخل ...

● ●

انه النزع الاخير ... لقد بدأ شريط الصور يهتز ... وراحت الوجوه تختلط ببعضها البعض ... طلبت منه القيادة ذات يوم أن يرسل بصورة له ، وصور أفراد المجموعة ... وأسمائهم العلنية ... يا الله ... ألا يكفي كل تلك الصور الملصقة فوق الحيطان ... وفوق جدران المكاتب ... ولكن الجبل لن يتحول الى مكتب ...

ولاحظ باجس ابو عطوان ، انه قد استند في داخل المغارة ، الى كيس من الطحين ... وان بقعا من دمه تصبغ الكيس ...

لن يترك لرفاق المجموعة ... رغيفا مخضبا من الدم ...

يكفي كل الدم الذي امتزجت به حياتهم ... ويزحف بعيدا عن كيس الطحين ... لقد تأخر « علي ربعي » ...

خشخشة في باب الكهف ... ورغم احساسه بثقل جفنيه ... يفتح ابو شنار عينيه ... ورأى « علي ربعي » يزحف ، وحين اقترب منه ... واحتضنه ... رأى يد علي ربعي تنزف ... وأصابعها تتدلى ... وهي تقطر بالدماء ... كأنها مناقير الطيور ... لقد أصابته طلقة في يده ... انهم دائماً يطلقون الرصاص ... على يد الفلسطيني ... على يده وقدمه ...

فوق كتف علي ربعي ... سقط رأس باجس ابو عطوان ...

ـ سقط البطل ...

ـ عاش الجبل ...

● ●

في كهف في منطقة الجوف جنوب شرق قرية « الحدب » ، من قرى دورا ... عثروا على باجس ابو عطوان ... كان امام باب الكهف ... كومة من الحجارة ... ملطخة بالدم ... كومها علي ربعي بيديه ... لم يكن للكهف باب مكشوف ، ولم يكن يمكن الاستدلال عليه ، لولا كومة الحجارة التي وضعها علي ربعي ... ومضى ... وأخبر والدة باجس ابو عطوان ...

بعد التفتيش ظهر لهم مدخل منخفض جدا ولا يستطيع احد دخوله الا زحفا على بطنه . وزحف الجنود الاسرائيليون مسافة عشرة أمتار على بطونهم داخل الكهف ... كان الكهف يتشعب ، من الداخل ، الى اتجاهات أربع ... والظلام كان كثيفا ... وظلوا يبحثون والمصابيح في أيديهم حتى عثروا عليه ... وتعرفت عليه امه ...

● ●

في تلك الليلة ، التي دفن فيها باجس ابو عطوان ، رأى الفلاحون في دورا ، رؤى عجيبة ... رأوا طيورا في حجم الصخور ... تحمل في مناقيرها عناقيد العنب ، وتلقي بها فوق سقوف بيوتهم ... أما والدة باجس ابو عطوان فلقد رأت نحلة في حجم « طائر الشنار » ، يحط فوق تراب القبر ... ثم يطير ...

فلاح عجوز ... حينما سمع الرؤيا ... تطلع الى السماء وتمتم :

ـ هذا دم باجس ابو عطوان ، تحول الى قرص عسل ...

ـ مات البطل

ـ عاش الجبل